

أضواء البيان

. @ 537

فالضحى وحده آية وهو حرها كقوله : { وَأَنَّ زَكَ لَا تَطْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَى } ،
أي بحرّ الشمس ، وقد أقسم تعالى بالضحى وحده في قوله تعالى : { وَالضُّحَى *
وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى } . .

وقوله : { وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا } ، فهو كذلك القمر وحده آية ، وكذلك تلوه للشمس
ونظام مسيره بهذه الدقة ، وهذا النظام فلا يسبقها ولا تفوته : { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي
لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ
يَسْبَحُونَ } . .

وفي قوله تعالى : { إِذَا تَلَاهَا } ، أي تلا الشمس ، دلالة على سير الجميع ، وأنها
سابقته وهو تاليها . .

ف قيل : تاليها عند أول الشهر تغرب ، ويظهر من مكان غروبها . .
وقد قال بعض أهل الهيئة : تاليها في منزلة الحجم ، أي كبرى وهو كبير بعدها في الحجم ،
وفيه نظر . .

ولا يخفى ما في القمر من فوائد للخليفة ، من تخفيف ظلمة الليل ، وكذلك بعض الخصائص على
الزرع ، وأهم خصائصه بيان الشهور بتقسيم السنة ومعرفة العبادات من صوم ، وحج ، وزكاة ،
وعدد النساء ، وكفارات بصوم ، وحلول الديون ، وشروط المعاملات ، وكل ما له صلة بالحساب
في عبادة أو معاملة . .

وقد جاء القسم بالقمر في المدثر في قوله : { كَلَّا وَالْقَمَرَ * وَاللَّيْلِ إِذَا
أَدْبَرَ } ، وقوله : { وَالْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ } ، مما يدل على عظم آيته ودقة
دلالتة . .

وقوله : { وَالنَّهَارَ إِذَا جَلاها } ، والنهار هو أثر من آثار ضوء الشمس . .
وجلاها . قيل : الضمير فيه راجع للشمس كما في الذي قبله ، ولكن اختار ابن كثير أن
يكون راجعاً للأرض ، أي كشفها وأوضح كل ما فيها ليتيسر طلب المعاش والسعي ، كقوله : {
هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً } ،
وقوله : { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَسَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً
وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً } .